# دور الأدب في تنمية المجتمع

فاطمة دين حمد الجهيمي ، مبروكة محمد محمد صالح إعبيدات
جامعة سبها

## المقدمـــــــــة:

يعد الأدب مرآة لما يدور في الحياة، وتعبير صادق عن حياة الأمة ولعل عودة إلى أي عصر ما، كفيلة بأن ترسم في أذهاننا صورة واضحة عن المجتمع في ذلك العصر، ومعظم الأدباء رسموا صورة واضحة عن مجتمعاتهم من خلال المادة الأدبية التي تركوها, وذكروا التناقضات التي حكمن بنية المجتمع من الناحيتين اللغوية والفلسفية، وكان من الاهمية تقّريب الصورة من حالة مكشوفة للعيان يمكنها ان تكون أحيانا ساطعة لحل مشكلات البلاد السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.. وهي حالة يدركها الجميع القاصي والداني.. ولكن برغم كل المحاولات الا أن حجم التناقضات وثقلها قد جعل المجتمع يتقهقر في العقدين الاخيرين كثيرا مع حجم ما اقترف من أخطاء.

إن التناقضات نجدها في كل قسمات المجتمعات العربية والمنطقة المجاورة، ولكن المجتمع الليبي قد فاق المجتمعات الأخرى بتأثير تلك التناقضات واعبائها والتي انتجت تعبيرها السياسي والاجتماعي في اشكال متباينة.. ترجمها الشعراء والكتاب في مؤلفاتهم من نزاعات قاسية وآليات القتل المرعبة ووحشية التعذيب والنفاق السياسي والكبت الاجتماعي والتشفّي وقطع الرؤوس واباحة المال العام والسباب واذلال الضعفاء والخوف من السفهاء مع سلوكيات المكابرة واستعراض البطولة المزيفة والانتقاص من المبدعين وبخس الاعمال الجيدة ونبذ الروح الجماعية....

إن التناقض الاجتماعي يأخذ اقصى تنوعاته اقتصادياً بين مجتمع زراعي وآخر تجاري ( بتنوعاته الكبيرة والصغرى) من مجتمع قروي وآخر مدني مروراً بمجتمع طفيلي خلق حديثاً وهو يجمع جماعات مهجرة تملك أحياناً بلا حدود، تبلورت هذه الطبقة من خلال اسباب غير مشروعة، وانتهاءً بمجتمع ينضوي فيه صغار المدن لا تشغلهم الا الحياة ببساطتها.. الخ، هنا تصل درجة التناقض الى ذروتها بدءً من الشمال وخصوصاً حول المدن واطرافها وصولاً الى الجنوب ثم الشرق واطرافها.

كما أن التناقض الاجتماعي يأخذ أقصى مداه عند المرأة الليبية التي ربما تعاني اليوم ليس من مجتمع ذكوري فحسب؛ بل من هيمنة التخلف باسم الدين تارة وباسم التقاليد تارة أخرى، والتناقضات ليست دليل ضعف؛ بل دليل قوة في مفاصل المجتمع، وأهمية

دراسة البنية الاجتماعية لأي مجتمع والتعرف على طبيعة الفسيفساء الاجتماعية فيه ، ومعرفة كنه تفصيلاته ومعلوماته على وجه الدقة من صنفه وعرقه وبيئته وطوائفه ومعرفة شماله الى جنوبه وشرقه الى غربه، سببا كافيا للإلمام به ومعرفته، إذ أن المجتمع نفسه لم يعلن عن مخفياته التي لا تعد ولا تحصى.

موضوعا كهذا يخلق كثيرا من التساؤلات. وهذا شيء حسن في الأدب والفكر. سنسأل ونجيب تباعا.

**أهمية البحث :**

لا شك أن المجتمع الراقي بأفراده لا يؤسس ولا يمكن أن يرتقي إلا على الأخلاق الفاضلة؛ إذ إن الأخلاق الكريمة هي روح المجتمعات السليمة، فإذا سلبت الروح تصدع بنيان المجتمع وتهاوت جدرانه، وقُوّضت دعائمه، ولله در القائل:

فَإِنَّمَا الأمَمُ الأخْلاقُ مَا بَقِيتْ فَإِنْ هَمو ذَهَبتْ أَخْلاقَهمْ ذَهَبوا

نعم .. "إن الحياة الأدبية والأخلاقية هي الحياة الخيرة البعيدة عن الشرور بجميع أنواعه وصور :، فكلما انتشرت هذه الحياة انتشر الخير والأمن، والأمان الفردي والاجتماعي، وتنتشر أيضًا الثقة المتبادلة والألفة والمحبة بين الناس، وكلما غابت هذه الحياة انتشرت الشرور وازدادت العداوة والبغضاء والتكالب من أجل المناصب، ومن أجل المادة والشهوات. والشر يسبب التعاسة والشقاء في حياة الفرد والجماعة، ولذا قال أحد الأخلاقيين الغربيين: ( إن الحياة من غير قيم -وإن كانت حلوة على الشفاه- فإنها مرة على القلوب والنفوس).

**أهداف البحث :**

سجل الأدب العربي منذ عصوره الأولى معظم الانتصارات الخالدة التي كان لها دور فعال وأساسي في تثبيت أركان الدولة، وقد جاء معظم الأدب الاجتماعي المتمثل في الشعر مثلا على شكل مقطوعات تتميز بوحدة الشعور، وتعبر عن فكرة واحدة، تمتاز بسهولة الأساليب ورقة الألفاظ، فقد اختيرت الألفاظ بعناية حتى يزداد وقعها في نفوس المتلقين، ويملئها إيحاء وخيال، وتعطي نوعا من التفكير لا حدود له صالح لكل زمان ومكان.

**حدود البحث الزمانية والمكانية :**

لا حدود زمانية ولا مكانية لهذا البحث؛ لأن الأدب صالح لأي زمان ومكان، فالأدب لا يقتصر على عمقه الزمني ليتم دراسته ولا على مكانته الجغرافية ليؤثر ويتأثر؛ بل على ما يحوي من مادة تخدم المجتمع في كل زمان ومكان.

**عينة البحث :**

بعض من النماذج الشعرية في كل العصور وأثرها على الفرد والمجتمع.

**الأسلوب والمنهج العلمي المتبع في البحث :**

لم يعد ثبات المنهج – وجه نظر- في أي دراسة وتفرده وخاصة في تحليل صراع الطبقات ( ونعني بالطبقات الاصناف المتنوعة في المجتمع) هو المنهج الأساسي في الدراسات الأدبية اليوم؛ إنما تستخدم عدة مناهج منها: الاجتماعي لتناوله العادات والتقاليد والسلوك والأنساق والوحدات الاجتماعية، فالقيم الاجتماعية حسنة كانت أم سيئة في مجتمع ما هي أكبر من القيم المادية.. والمنهج التاريخي للكشف عن العوامل التي أثرت في الفرد والمجتمع، والمنهج الفني للوقوف على الخصائص الفنية للأدب عند الاستشهاد بالأبيات الشعرية أو النثرية.

**سبب اختيار الموضوع:**

لقد اخترت موضوع ( الأدب ودوره في تنمية المجتمع) إيماناً بأهمية هذا الموضوع على مستوى العالم عموما، ودولتنا التي نهضت فيها الثورات بصفة خاصة؛ إذ إن معظم الشعوب في الوقت الراهن مقبلة على مرحلة البناء والتشييد، فما أحوجنا إلى تكاتف الجهود على كل المستويات وكل الجبهات لبناء وتعمير هذه الأوطان التي خربتها أيدي المفسدين طوال عقود وعقود .. إننا في حاجة إلى كل فكرة وإلى كل نقطة عرق تبذل في سبيل الله ثم في سبيل أمتنا العريقة ..!

**هيكلية البحث:**

سأعالج هذا " الموضوع " من خلال ثلاثة محاور: المحور الأول: يتّصل بأدوات الفهم المنهجي لمعنى كلمة ( الأدب) وذكر وتحليل مرجعيات فهم هذه " البنية " لمتعارف عليها منذ عصور سالفة. والمحور الثاني: يتعّلق مضامين التنمية المجتمعية وتناقضاتها من خلال مكونات البنية الاجتماعية على أسس منهجية متعددة، وهو العمود الفقري لهذا الموضوع.. وسأستعين في هذه الحالة ببعض ما سأعرضه عليكم من أبيات ومقطوعات شعرية ونثرية تخدم الموضوع. والمحور الثالث: يتعلق بالاستنتاجات –بعد الخاتمة- التي خرجت عن هذا الموضوع، محاولة رسم صورة مستقبلية لما ستغدو عليه الحياة الاجتماعية مستقبلا مقارنة بما كانت عليه في الماضي، ثم أردفت بقائمة **المصادر والمراجع** التي استعين بها، ثم الفهرس العام للموضوعات. ونتمنى أن نكون قد قدمنا بعض من التأملات بصدد ما سيصادفه مجتمعنا من تحديات في المستقبل المنظور وحتى في المستقبل البعيد.

**المحور الأول ـ الأدب وما يتعلق به :**

**ما أثر الأدب في بناء الشخصية المتوازنة؟.**

إن الأدب هو القاعدة المركزية في حياة الأفراد، وهو الذي يمنح الأفكار والمفاهيم قوامها وفضاءاتها، ويحدد وجهتها، وهذا يعني أن صفاء الكلمات ووضوحها شرط أساسي لصفاء الأفكار واستقامتها، والأدب لا تستطيع أن يحافظ على صفائه ما لم يكن حيا، وقادر على الإيحاء والحث، والأدب في المجتمع واحد لكن أنواعه متعددة، وحيويته وحدها تجعله يتجلى في كل زمان وفي كل مكان(1).

إن الأدب يعني القدرة على قراءة ما وراء السطور، والقدرة على التحليل والفهم والرصد والتخطّي لما هو أعمق من الواضح، وتعميق المعاني وترتيب الأفكار، وهو فهم لفلسفة الحياة والقدرة على الخروج برأي نابع من الداخل. وهو انعكاس للمجتمع بكل مشاكله، فنرى منتهى الطيبة والوداعة يقابلها منتهى التوحش والقساوة.. أروع التعابير والجماليات وأخصب العواطف يقابلها أقبح الكلمات وأسوأ التعابير والشتائم.. أقوى العلاقات الحميمية والمحبة يقابلها سلوكيات عدوانية وكراهية وأحقاد.. عشق للعمل وتفان في أداء الواجب وحب الوطن يقابله فقدان الشعور بالمسؤولية وتنصّل عن القيم وكره لروح المواطنة.. الخ من الحالات التي تستدعي الانتباه والتأمل، يقول الشاعر جهاد جحا:

**وَقْعِ الكَلامُ عَلَى الفُؤَادِ ثَقِيلُ  مِن كُل مِنْهَا لِلسانِ طويلُ**
**فَكِرْ بِقَولكَ لاَ تَكُنْ مُتَعَجِلاً  إِنَّ الحَمَاقَةَ ثَوْبَهَا التَّعْجِيلُ**
**وَلربَمَا صَارَ اللِسَانَ كَخِنْجَرِ  قَدْ سُلَّ مِن غَمْدٍ وَصَارَ يَجُولُ**
**يُدْمِي القُلوبَ بِقَولهِ وَبِفعْلِه  يُعْمي العُيونَ وَقَصْدِهِ التَّكْحِيلُ(2)**

إن بناء أرضية المجتمع المتوازن تحتاج إلى جهود حثيثة على صعيد الفرد ومبادئه، والأدب وأنواعه، وخاصة الشعر، لأنه له تأثير في نفوس الأمراء والسلاطين والولاة، وكثيرا ما يأتي على شكل حكم وأمثال، يقول الشاعر:

**إِذَا هَبْتْ رِيَاحَكَ فَأَغْتَنِمْها  فَبَعْدَ هِبُوبَهَا أَبْدَ السَّكُونُ**
**ولاَ تَغْفِلْ عَنِ الإِحْسَانِ فِيهَا  فَمَا تَدْرِي السَّكُونَ مَتَى يَكُونُ(3)**

فالأبيات بالإضافة إلى قيمتها الفنية، فإنها ذات دلالة اجتماعية بالغة، لها أساس من الواقع الاجتماعي. ومجالس الأدب في المجتمعات ميداناً لامتحان سرعة البديهية وحضور القول والقدرة على الارتجال والإحاطة بالمعاني، وانتقاء الألفاظ لحل القضايا المستعصية.

يلعب الأدب دوراً مهما في تحقيق التوازن النفسي في المجتمع؛ وهذا إحساس ينتاب كل إنسان يمارس الفن أو يتعامل معه؛ ذلك أنه يخفف عنه عبء الحياة اليومية وعلى ضفافه تتحطم أمواج السخط والغضب فتلين النفس وسترد هدوءها وسكينتها.

**أثر الأديب في انضباط المجتمع.**

إن حاجة المجتمع إلى الأدب كحاجتهم إلى الله في الخلق والرزق واستمرار الحياة, بل أعظم لأن أقصى ما يترتب على فقدان الطعام والشراب والحياة موت الأبدان, بينما يترتب على انعدام الفن والأدب موت الأرواح واندثارها، والأدب يضيء جوانب النفس ويطهرها, وينقي الضمير ويحييه, ويرقق القلب والروح (4).

ولا ريب أن كلمات الأدب من( شعر ونثر) حكمة كانت أم مثلا خرجت من قلب على لسان قائلها لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت؛ فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت ذلك العمل الأدبي الصالح إلى الرب تعالى، وتلك الكلمة الطيبة تثمر كَلِمًا كثيراً طيباً يقارنه عمل صالح فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب، كما قال تعالى:( **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** )(5) فأخبر سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملا صالحا كل وقت.."(6).

حقّق الأدب الترفيه، بالإضافة إلى أنّه يكسب الفرد إحساسا بمعنى الجمال، كما أنّه يهذّب الذوق ويصقله وينمّي المواهب ويوسّع الخيال، كذلك يكسب الفرد القدرة على النقد والحكم والتقييم، فيساهم في تربية الفرد على القيم النبيلة والمبادئ السامية، كما يساهم في إحداث التوازن النفسي والحثّ على العمل وبذل الجهد؛ فهو يجدّد طاقة الفرد بعد العمل كما يجدّد علاقة الفرد بمحيطه الخارجي، وهو يحسّس الفرد بقيمة الوطن ويطلعه على ثقافة الاخر.

وقد يكرس الأدب ( الشعر) في جزء من الأحداث المترابطة ويدع لمخيلة وعقل القارئ مهمة إكماله، أو بشكل دقيق مهمة الشعر العميقة، فما قاله مسلم بن الوليد في أبياته التي رد بها:

**بُكاءٌ وكأس كيف يتفقانِ سَبيلاهُما فِي القلبِ مْخْتَلفانِ**
**دَعانِي وَإِفْراطِ البُكَاءُ فَإِنَّني أَرَى اليومَ فِيه غَيرَ مَا تَريانِ**
**غَدَتْ وَالثَرى أَولَى بِها مِن وَلِيِّها إِلى مَنزِلٍ ناءٍ لِعَينِكِ دانِ**
**فَلا وَجدَ حَتّى تَنزُفَ العَينُ ماءَها وَتَعتَرِفَ الأَحشاءُ بِالخَفَقانِ**
**وَكَيفَ بِدَفعِ اليَأسِ وَالوَجدِ بَعدَها وَسَهماهُما في القَلبِ يَعتَلِجانِ(7)**

هذا وأن الأدب هو الركن الأساسي في تكوين الشخصية؛ لأنه " هو الجذر الأول في بناء شخصية الفرد، وهو العنصر الأساسي المحرك لعواطفه، والموجِّه لإرادته أحيانا، ومتى صحت عناصره استقامت الأساسيات لديه، وكان أطوع للدلالة على طريق الحق والخير والرشاد، وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه، وضبطها فيما يدفع عنه الألم والوحدة، وفيما يجلب له النفع واللذة والمصلحة، وهذا ما يطلبه المجتمع من الفرد(8).

**فما العلاقة بين الأديب ومجتمعه؟**

علاقة الأديب بمجتمعه أنها انخراط بمشاكل المجتمع، بل تفهم على أنها إحساساً صادقاً مفعماً بالحب والغيرة والرغبة في تطوّر المجتمع، فعلاقة الأديب بمجتمعه علاقة تفاعليّة يتأثر بالمجتمع وأحداثه ويتأثر بالوسط الاجتماعي ويتفاعل معه مما يزيد انتماءه وإحساسه.

**وهل يملك الأديب القدرة على ربط الماضي بالحاضر وكشفه وترسيخه لقيم الخير؟**

نعم، فالأديب له عين تكشف الغطاء عن روح الأمة، ويد تربط بين أجزاء شخصيتها ومراحل تطورها، وله قدم تسعى إلى مستقبل أرحب. وهذا لا يتحقق إلا بتوفُّر أدباء ناضجين مسؤولين وأعين لقضايا أمتهم ومؤمنين بمعالجتها. يقول

وليس أضر بالمجتمع من قطع النسل، ولكن الكاتب قد يشجع أفراده في قصة يكتبها على الزواج والتكاثر، وقد يكون تشجيعه احتجاجًا على نظام العزوبية في المجتمع، وقد يؤتي هذا الاحتجاج ثمرته بعد سنوات، فيصبح تشجيع العزوبة ظاهرة اجتماعية قضت على مرض اجتماعي يحتاج إلى العلاج. إذن القصصية مادةً اجتماعية واقعية تأتي أجزاءها من النص لتوظيف غرض معنوي أو يكون النص متحدثًا عنها بالكامل ، كقصيدة نزار قباني أيظنُّ ومنها هذه الأبيات:

**حمل الزهور إليّ .. كيف أرده ... وصباي مرسوم على شفتيهِ**
**ما عدت أذكر .. والحرائق في دمي ... كيف التجأت أنا إلى زنديهِ**
**خبأت رأسي عنده .. وكأنني ... طفل أعادوه إلى أبويهِ**
**حتى فساتيني التي أهملتها ... فرحت به .. رقصت على قدميهِ**
**سامحته .. وسألت عن أخباره ... وبكيت ساعات على كتفيهِ(9)**

فقد استخدم نزار مادة قصصية تحدث لبعض النساء حين يعود إليها من هجرها. ولنزار نصوص كثيرة تعتمد معظمها على قصص اجتماعية معتادة بالغراميات، نقلها لعالم

الشعر وشكّل بها منهجا كبيراً من شعره وأسلوبه، وقوة نصوصه منحتها مكانتها في الظهور من خلال حكايتها بتفاصيلها.

فاعتقاد الفرد في قرارة وجدانه أن الآداب عامة وسيلة لرقي المجتمعات، وأن ما أصاب به من كلمات مؤثرة في المجتمعات لم يكن ليخطئها، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبها، وأن الأدباء لو اجتمعوا على أن ينفعوا هذه الأمة بشيء فسينفعونها بمشيئة الله، قال تعالى: ( قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)(10) وقال أيضاً: ( وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)(11)

وقد أدرك حديثاً الباحثون ( من غير المسلمين) قيمة الأدب في توجيه سلوك الإنسان، فبدؤوا يتحدثون عنه تحت عنوان: ( أيديولوجيات أدبية ) ولكنهم ما استطاعوا أن يصلوا إلى المستوى الذي وصل إليه الأدباء العرب، فهو يبني في الفرد إيماناً وتوازناً في شخصيته لا يضارعه ولا يشابهه فيها أي عنصر حياتي آخر. فحاولوا غرسه في نفس أفرادهم(12).

**وأما بالنسبة للأديب:**

فالأديب يعطي المجتمع صبغة ثابتة ومنهجًا واضحًا يميزه عن غيره من المجتمعات التي يعيش فيها، وهو الذي يدفع بالمجتمع في مضمار التقدم والرقي؛ لأنه يهيئ الأذهان لرفض الأوهام والخرافات والأساطير التي تفتك بالمجتمع، وتهدم كيانه وتضعفه وتجعله في اضطراب مستمر، وتقف حاجزًا دون رقيه وازدهاره، يقول الشاعر:

أَكَابِرُ النَّاسُ لِلأخلاقِ تُنْتَسبُ وَزِينةُ الْمَرءِ فِي أَقْرَانهِ الأَدَبُ
فَكَمْ لَقيتُ أُنَاساً سَاءَ مَعْشَرَهُم لِذَا تَرَاهُم إِذَا مَا خُوصُمُوا وَثَّبُوا
إِن جَاوَزَ الْحَدَّ خُلَّ أَنْتَ مُكْرِمُهُ فَإِنْ هَجَرتْ فَلا لَومٍ وَلاَ عَتبُ
التِّبْرُ بينَ تُرابِ الأرضُ مَنزلهُ لَكِنَّه رَغْم مَا أَزْرَى بِه ذَهبُ
شَرَاسَةُ الْمَرءُ تُنبي عَن سَفَاهَته وَسَيءَ الطبعُ لاَ أَصْل وَلا حَسبُ
دَمَاثة الْخُلقِ نَبْع طَابَ مَوردهُ وَلَيْسَ عِلماً مَع الأيامُ يُكْتَسبُ
لا تَشْرَبنَّ مِياهٌ سَاءَ مَنْبَعُها فَأَطْهرُ المَاءُ مَا جَاءتْ بِه السُّحبُ (13)

والأديب يترك آثاره الطيبة، ونتاجه العظيم، في وحدة المجتمع وتضامنه، ولا تخفى حاجة الأدب للأديب في سائر أوضاع الحياة البشرية والدينية والاقتصادية والسياسية والزراعية والاجتماعية وغير ذلك(14). فمن السخف أن يُقال إن الطبقة الحاكمة هي التي تنحرف بالأدب عن خدمة المجتمع لخدمة مصالحها ومآربها، وإنِ الأمر وُكِّل إلى

الشعب لما نظم أحد شعرًا ولا كتب حرفًا في غير القوت والكساء والدواء وما يلحق بهذه الأشياء.

تتجه القصصية بالشعر في شكلها الممتد من الواقع إلى مشهدين وأكثر لتجسيد الوقائع وإبراز موقف الشاعر، كما فعل محمود درويش في نصه عن الإنسان، فمثلا هذه القصيدة تكونت من وصف قصصي والتفات وخطاب وحكمة، يقول:

وضعوا على فمه السلاسلربطوا يديه بصخرة الموتى، و قالوا: أنت قاتل!
أخذوا طعامه والملابس والبيارق ورموه في زنزانة الموتى، وقالوا: أنت سارق!
طردوه من كل المرافيء أخذوا حبيبته الصغيرة، ثم قالوا: أنت لاجيء ..!
ثم التفات وخطاب وحكمة :
يا دامي العينين والكفين !
إن الليل زائل لا غرفة التوقيف باقية و لا زرد السلاسل!
نيرون مات، ولم تمت روما ... بعينيها تقاتل!
وحبوب سنبلة تجف ستملأ الوادي سنابل**(15).**

تكون النص من مشهدين، مشهد يصف شخصية البطل بالنص، ومشهد يدخل الشاعر به النص ليخاطبه، والقصصية هنا إشارة لزوال الطاغية وبقاء الوطن، والتحول لموت السنبلة التي تملأ الوادي سنابل، أي أن الموت قضية نحياها، ولكن قد يلجأ بعض الأدباء إلى التحوير والتغليف وحسن التعليل وخاصة في الشعر؛ ليعبروا عن قضاياه وما يرتبط بالبيئة وما استمدوه من حياتهم الاجتماعية، فأثر الأديب في الفرد واضح، في تقويم الأخلاق وتزكية النفوس، وشحذ العزائم، إلى جانب أنه بكلماته وكتبه ومؤلفاته، يزكي في الفرد ملكة مراقبة ربه وحبه لوطنه، ويرقى به إلى درجة الإحسان الذي قال عنه عليه الصلاة والسلام: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"(16). كما أن الأديب يمتلك ملكة اللغة، والحواس الظاهرة، والبصيرة الأخلاقية: ( بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ، وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ )(17) ولقد هُدي إلى طريقي الفضيلة والرذيلة: ( **أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ، وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ، وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** )(18) إلا أن ( **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**)(19) ، ولكنه قادرا على أن يحكم أهواءه: ( **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**)(20) فالصدق في القول والعمل ومطابقة التعبير للحقيقة أيا كان لون التعبير بالقول أو بالفعل أو بالإشارة أو بالكتابة وما إلى ذلك، هو ما حفظ ثقافة العرب من الاندثار.

وأثر الأديب في الجماعات، يدعم روابطهم ويبني علاقتهم على أسس راسخ من العدل والإخاء والإحسان، ويكون أثره واضحاً في صياغته لألفاظه صياغة إنسانية كاملة تألف بناءً قوياً متماسك قائم على الكلمة الهادفة والعدل القائم على المساواة والإيثار، والبر والرحمة، والتعاون على جلب الخير، ودفع الضرر، والدعوة على السعي والتقدم، يقول الشاعر موسى سويدان:

أَكْمِل طَرِيقكَ فَالطريقُ طَويلٌ وَالعَيشُ مِن بَعدِ العَناءُ جَميلٌ
وَأتْرك لِغيركَ مَا تُحِبُ وَتَشْتَهي فَلِكلِ شَيءٍ تَشتهيهِ بَديلٌ(21)

وما يؤدي إلى انضباط المجتمع المواساة والزيارة والدعاء، فهو سلوك اجتماعي يؤدي الى تثبيت أركان المجتمع، يقول الشاعر:

إنَّ اللَيالي لاَ دَهَتْكَ لَعَابِثة فَوَقَيْتَ فِيكَ يَد الزَّمَانِ العَائِثه
وسَلِمت مِن خِل يَعودُ عَلى النَّوى كَرمَا فَتُفرِج الخُطُوبِ الكَارِثَه
فَأَرَى بِه لِلقلبِ قَلباً ثَانياً عِزا وَللعينينِ عَيناً ثَالِثه(22)

فعيادة المريض سلوكاً اجتماعياً محبباً إلى النفوس، لما تحمله من معاني المودة والتراحم والتزاور بين أبناء المجتمع الواحد، ونوعاً من الانسجام بين الناس، فبالتالي يسود التعاون بينهم، فينتج عنه بناء مجتمع مؤمن قوي، يقول الشاعر:

إني لأفْرح بِالصَّديقِ إِذَا سَألْ وَيَسِرُ قَلْبِي إن تَوَاصلَ أَو وَصَل
وأَضلَ أَذْكِر رَائِعَاتِ حُرُوفَه مَهْمَا تَبَاعَدنَا وَطَال بِنَا الأَجَل
هَذي أَحَادِيثُ الْمَودةَ بَينَنَا وَيَخُونَنا التَّعْبِير فِي بَاقِي الْجُمَل
فإن ابْتَعَدتُ فَسَامِحُونِي أَخوَتي إني مُعَرَض لِلمَشاغلِ وَالزلَل
فلتذْكُرونِي بِالدعَاءِ فَحُبُكُم أَوْدَعْتَه بَينَ الْحَنَايَا وَالْمُقَل(23)

إن الكلمات التي ينشدها الأديب هي الأسلحة والبناء المتماسك المترابط الذي كون اللبنات الأولى الصالحة التي بدأت بالإخاء، ثم تجاوزته إلى الحب، ثم علت حتى صارت إلى الإيثار.

فهل للأديب رسالة؟

الرسالة تتطلب منه زاداً ثقافياً وفكرياً يغني تجربته ويعمق رؤيته للمجتمع والإنسان

-إذن ما هي وظيفة الأدب بالنّسبة إلى الفرد والمجتمع؟

يحقّق الأدب الترفيه بالإضافة إلى أنّه يكسب الفرد إحساساً بمعنى الجمال، كما أنّه يهذّب الذوق ويصقله وينمّي المواهب ويوسّع الخيال، كذلك يكسب الفرد القدرة على النقد والحكم والتقييم، فيساهم في تربية الفرد على القيم النبيلة والمبادئ السامية، كما يساهم

في إحداث التوازن النفسي والحثّ على العمل وبذل الجهد؛ فهو يجدّد طاقة الفرد بعد العمل كما يجدّد علاقة الفرد بمحيطه الخارجي، وهو يحسّس الفرد بقيمة الوطن ويطلعه على ثقافة الاخر.

من أجل هذا كان الأدب هو الركن الأساسي الذي بدأ الفرد به في تكوين شخصيته؛ لأنه " هو الجذر الأول في بناء شخصيته، وهو العنصر الأساسي المحرك لعواطفه، والموجِّه لإرادته أحيانا، ومتى صحت عناصره استقامت الأساسيات لديه، وكان أطوع للدلالة على طريق الحق والخير والرشاد، وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه، وضبطها فيما يدفع عنه الألم والوحدة، وفيما يجلب له النفع واللذة والمصلحة "(24) وهذا ما يطلبه المجتمع من الفرد.

ووظيفة الأّدب بالنّسبة إلى المجتمع، إذا أرتقيّ الفرد ارتقيّ المجتمع، ذلك أنّ الفرد يخلق التوازن في المجتمع ويبثّ الطمأنينة فيه، لأنه واعي بالقضايا الاجتماعية والسياسيّة عبر ترسيخ جملة من القيم الإنسانية، مثل: المساواة والحريّة والعدالة والديمقراطيّة، كما يساهم الأدب في إكساب المجتمعات وعيا بالقضايا الإنسانيّة، كالفقر والحروب والدعوة إلى السلم والتضامن...ويسعى ّإلى ترسيخ الهويّة الوطنيّة والجذور التاريخيّة والانتماء الحضاري دون الدعوة إلى الانغلاق أو الانطواء.

الآداب العربية وأثرها على الفرد والمجتمع.

إن الأعمال الأدبية الكبيرة لا يخبو نورها ولا ينطفئ بريقها على مر الزمان؛ لأنها استطاعت أن تعكس معها المسيرة البشرية بكل ما فيها من صفات تدعو حقاً للتأمل والتساؤل وربما أيضاً التعلم والتغيير. والالتزام في الأدب، هو مدى التزام الأعمال الأدبية بالمعايير الاجتماعية والأخلاقية والجمالية. ومن المعروف أن الوظيفة الاجتماعية والأخلاقية والجمالية للأدب قديمة قدم الأدب نفسه، وأن ثمة ميلاً إنسانياً قديماً ومقيماً للاهتمام بوظيفة الأدب وتوجيهه لمصلحة الفرد والمجتمع والوطن والإنسانية والمعتقد. ولكنَّ هناك فرقاً بين الإيمان النظري العام بوظيفة الأدب ( وهو ما اصطلح على تسميته بالنظرية الأخلاقية) ومفهوم الالتزام الحديث الذي ينبثق من النظرية الأخلاقية ذاتها ولكنه يتجاوزها متجهاً نحو العمل على تنظيم وظيفة الأدب وتعميق الوعي بها، وتحديد مسؤولية الأديب، وأحياناً إلزامه بهذه المسؤولية، انطلاقاً من موقف إيديولوجي محدد متسم بالوعي النظري. ويرى د. مصطفى بدوي أن تجليات الحداثة العربية تختلف عن الحداثة الغربية: "إن موقف الأديب المعاصر يتميز ببعض الصفات التي تلائم أسلوب الأدب الحديث؛ منها المأساة والتشتت والتحلل وانهيار القيم

التقليدية وضياع الفرد في جهاز الدولة المعقد وفقدانه لفرديته، لا لغلبة الآلة والتكنولوجيا الحديثة على حياته، لكن لاعتبارات سياسية تعسفية، واجتماعية واقتصادية قهرية".(25) ثم يواصل قائلاً: "إن الأدب الذي يعبّر عن ذاتنا المعاصرة هو أدب معاصر أو حديث. وذاتنا المعاصرة متأثرة بالغرب وبفنون الغرب وآدابه. وهي ذات ممزقة ومختلفة جدًا عن الذات العربية التقليدية على الصعيد الفكري والاجتماعي والحضاري على حد سواء".(26)

فعندما يتكلم بعض علماء النفس عن عذاب الوجدان، يقولون: ( إنها لظى جحيم يعض قلوبنا ليلاً ونهاراً ، ويقولون: إن كل مرض نفسي يبدو وراءه نقص خلقي)(27). ولهذا يرجع بعض علماء النفس الأمراض النفسية إلى عذاب الوجدان، وليت الأمر يقف عند هذا الحد بل إن من أسباب هلاك الأمم واندثارها بعد ارتقائها وشموخها تردي الأخلاق فيها، ومن ثم كان الأدب العربي بمجمله حريصاً منذ اللمسات الأولي بعد الدعوة الإسلامية في تشييد دعائم الدولة، وفي التأكيد على أهمية الأخلاق في بناء المجتمعات وتنميتها وارتقائها. ولقد علمنا أن النفس الإنسانية قد تلقت في تكوينها الأول الإحساس بالخير وبالشر: (**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** )(28). وقد كان جانب من الوحي يوجه الفرد إلى الأخلاق الفاضلة التي تساهم بشكل كبير في الترابط والتآخي وبناء المجتمع السليم، الخالي من الأمراض، ذلك المجتمع البناء القادر على العطاء والتنمية في كل مناحي الحياة. يقول أبو العتاهية:

عِشْ مَا بَدا لكَ أنْ تَعيشَ سَالماً فِي ظِلِ شَاهِقةَ القُصورِ
يَسْعى عَليك بِما اشْتَهيـ تَ لَدى الرَّواحِ وَفِي البُكورِ
فإذَا النُفوسَ تَفقعتْ فِي ضِيقِ حَشْرَجَةِ الصدورِ
فَهُناكَ تَعْلم مُوقِنا مَاكُنت إلا فِي غُرورِ(29)

ويقول ابن جبير الرحالة:

أَخِلاءَ هَذا الزَّمَانُ الخَؤون تَوالتْ عَليهِمْ صُرُوفٌ العِلَل
فقَضيتَ التَّعَجبَ مِن بابِهم فَصِرتُ أُطَالعُ بَابَ البَدَل(30)

فاعتقاد الفرد في قرارة وجدانه أن الآداب عامة وسيلة لرقي المجتمعات، وأن ما أصاب به من كلمات مؤثرة في المجتمعات لم يكن ليخطئها، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبها، وأن الأدباء لو اجتمعوا على أن ينفعوا هذه الأمة بشيء فسينفعونها بمشيئة الله، قال تعالى: ( **قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**)(31) وقال أيضاً: ( **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**) (32).

والآداب ضرورة من ضروريات الإنسان التي لا غنى له عنها؛ ذلك أن الإنسان بحسب فطرته يميل إلى اللجوء إلى قوة عليا يعتقد فيها القوة الكاملة التي توافق الفطرة وتحترم عقل الإنسان ومكانته في الكون.

وهناك قول يقول: " النفس بحاجة إلى رخاء في غذائها الفكري والعاطفي كحاجة الجسم إلى شيء من النعيم في حياته المادية، والأدباء والفنانون يجلبون هذه الحقيقة، ويقدّمون هذه الوجبة الغنية للمجتمع " (33) فما هي وظيفة الأدب؟ وما هو دوره في حركة المجتمعات؟

دور الأدب في المجتمع لا يبرز بشكل فعال إلا إذا أزيلت كافة القيود المصطنعة عنه منطلقين من روح العصر، فالعصر في تقدم، ولكل عصر مقتضياته، فدور الأدب في المجتمع من أعظم الأدوار نظراً لقدرته على أداء الأدوار بشكل أحسن وأفضل، وليس القصد هنا ما تم أيضاً ابتذاله من آداب مشوهة نظراً لاختلاف التكوين الفكري بين الأدباء وسعة اطلاعهم – حيث أن للأديب القدرة على العمل الجماعي عن طريق استخدام الكلمة وتوظيفها بشكل متفوق وملائم للبيئة والمجتمع واللحظة التي قيلت فيها، ومن هنا سر تألقها، فمن حاول إطفاء هذا التألق وكبته فهو بحاجة إلى مراجعة جادة لأفكاره ومبادئه. فمن باب رد الجميل والعرفان بالفضل للمعلم الذي يساهم في تنمية المجتمع وتطوره، يقول الشاعر:

قُم للمعلمِ وفّهِ التبجيلا *** كاد المعلمُ أن يكونَ رسولا
أعَلِمتَ أشرفَ أو أجل من الذي *** يبني ويُنشئُ أنفسًا وعقولا
سُبحانكَ اللهم خيرَ معلمٍ *** علّمتِ بالقلمِ القرونَ الأولى
أخرجتَ هذا العقل من ظُلُماتهِ *** وهَديتهُ النورَ المبينَ سبيلا (34)

وكان الغرض الأساسي لقصيدة شوقي عن المعلم وجوب تعظيمه وإجلاله، ودوره العظيم الذي يؤديه في تنمية المجتمعات.

وقال محمد رشاد الشريف لوصف المعلم:

يا شمعة في زوايا "الصف" تأتلق  تنير درب المعالي وهي تحترق
لا أطفأ الله نوراً أنت مصدره  يا صادق الفجر أنت الصبح والفلق
أيا معلّم يا رمز الوفا سلمت  يمين أهل الوفا يا خير من صدقوا
لا فضّ فوك فمنه الدر منتثر  ولا حرمت فمنك الخير مندفق(35)

وصف الشريف دور المعلم في المجتمع ووصف تضحياته النفيسة من أجل الطلاب.

**فماهي قيمة الأدب على الفرد والمجتمع؟**

يسهم الأدب في الحقيقة في تنمية شخصية الفرد وفي تفتق مواهبه وبلورة أفكاره. أما بالنسبة للمجتمع فهو يعتبر الوسيلة الوحيدة للخروج من تخلف الفكر بصورة سريعة وجذرية، وعن طريقه تزدهر الفنون والمرافق فيتمكن المجتمع عندئذ من التغلب على الأوضاع البالية، ولكي تتحقق هذه الفوائد وجب تنظيم تقنيات الأدب والقيام به أحسن وجه في المحافل العلمية.

إن الأدب له فوائد كبيرة على الفرد والمجتمع إذا قيل بإخلاص وإتقان. وقد قال أحمد شوقي في هذا السياق:

وَمَا نَيلُ المَطَالبَ بِالتَمَني وَلَكِن تُؤْخَذُ الدَّنيَا غُلاَبا

وَمَا استَعْصَى عَلى قَومٍ مَنالٌ إِذَا الإِقْدَامُ كَانَ لَهُمْ رُكَابَا(36).

فقد عبر الأدب عن حياة الناس ومعيشتهم وتباين ظروفهم وآمالهم وتطلعاتهم، فبئس حياة نعيشها لا مكان فيها للأدب, ونعم حياة علا فيها الفنّ وأشعّ.

**المحور الثاني اشتمل على التنمية:**

**مفهوم التنمية.**

التنمية لغةً معناها الزيادة أو الكثرة أو الارتفاع، وتنمية الشيء تعني ارتفاعه من موضعه إلى موضع آخر... ونَمَى الإنسانُ: سَمِنَ. والنَّامِيةُ مِنَ الإبل: السَّمِينةُ... وتَنَمَّى: ارْتَفَعَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ(37).

ومن خلال إلقاء نظرة متفحصة على أدبيات التنمية في العلوم الاجتماعية ( وبالذات علم الاقتصاد وعلم الاجتماع) يستطيع المرء أن يستنتج تعريفين رئيسيين لمصطلح «التنمية» : الأول تعريف إجرائي وهو التعريف الاقتصادي للتنمية والذي ينظر إلى «التنمية» بوصفها: «عملية طويلة الأجل تهدف إلى زيادة متوسط الدخل الفردي الحقيقي»(38) .

أما التعريف الثاني والأكثر حداثة فهو موضوعي، وهو ينظر إلى التنمية بوصفها: «عملية طويلة الأجل تهدف إلى زيادة الرفاهية أو السعادة الإنسانية» (39).

لقد أصبح مصطلح "التنمية" من أكثر المصطلحات شيوعاً في مجالات الاقتصاد والاجتماع والتربية والثقافة والإعلام، والمقصود به رفع مستوى المجتمعات المتخلفة، ومساعدتها للتخلص مما تعانيه من أمية ومرض وفقر، وكرست هيئة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة معظم جهودها للعناية بالتنمية، ودعم الجهود المحلية والدولية

لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والحضارية في المجتمعات المتخلفة، والانتقال بها إلى مستويات أفضل وأرفع.

**فماهي تنمية المجتمع؟**

هي عملية بناء المجتمع القوي والمتميز في العديد من المجالات المختلفة والمتنوعة، ويكون ذلك عن طريق تقوية وتمكين أفراد المجتمع وتزويدهم بالأمور التي يحتاجونها الأفراد من مهارات وعلوم ومعارف وخبرات حياتية وعلمية وعملية، حتى يستطيعوا الإنجاز والأبداع.

قال الإمام الشافعي:

ومنْ لم يذق مرَّ التعلمِ ساعةً تجرَّعَ نلَّ الجهل طولَ حياته

ومن فاتهُ التَّعليمُ وقتَ شبابهِ فكبِّر عليه أربعاً لوفاته

وَذاتُ الْفَتَى ـ واللهِ ـ بالْعِلْمِ وَالتُّقَى إذا لم يكونا لا اعتبار لذاتهِ

اصبر على مرِّ الجفا من معلمٍ فإنَّ رسوبَ العلمِ في نفراتهِ (40)

إن تنمية المجتمع لا تقع نهائياً على كاهل أديب واحد من الأدباء في المجتمع، إنما تمتد هذه المسؤولية لتشمل كافة أدباء المجتمع، حيث أنهم يستطيعون أن يقوموا إذا ما تجمعوا ووحدوا جهودهم على إحداث مقلة نوعية وشاملة لكافة مناحي الحياة في هذا المجتمع الذي يعيشون فيه، ومن ضمن أبرز الأفراد في المجتمع الذي يهتمون في إحداث الفرق وتنمية المجتمع أفراد وجماعات مثل المواطنين الصالحين والإيجابيين بالإضافة إلى المهنيين والنشطاء وكافة القوى المجتمعية الأخرى المختلفة والمتنوعة، بالإضافة إلى ضرورة وجود دعم من السلطة الحاكمة لهذه الأنشطة المختلفة، حيث أنها إن دعمت بالشكل الصحيح واستوفت غايتها على أكمل وجه وأتم صورة، فإن هذه العملية سوف تزيح حملاً كبيراً وثقيلاً عن كاهل الحكومة، مما يحقق التنمية الشاملة في المجتمع، والتنمية الشاملة في المجتمع لا تأتي إلا عن طريق تعزيز سبل التعاون بين الأفراد فرداً فرداً، وبين الجماعات جماعة جماعة، وبين الأفراد والجماعات والحكومات، فبين الحكومة والفرد، وبين الحكومة والجماعة وبين الحكومة والفرد والجماعة.

ودور الأدب في تنمية المجتمع لا تبرز بشكل فعال إلا إذا أزيلت كافة القيود المصطنعة عنه منطلقين من روح العصر، فالعصر في تقدم وهو لا يرجع إلى الوراء، ولكل عصر مقتضياته، وما ألزم به، وما كان ملزما لمن سبق من العصور لا يجب أن يكون ملزماً للعصر الحالي ولا بأي شكل من الأشكال؛ لأن الأدب فن من الفنون الجميلة يعكس مظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية. وسيلته في التعبير عن تلك القيم الكلمة المعبرة

الموحية، هذا التعريف البسيط يلتقي بتعريف آخر.. " إنه تعبير فني عن موقف إنساني أو تجربة إنسانية ينقلها الأديب ويبغي من ورائها المتعة والفائدة "(41)

**التنمية العلمية في المجتمع** :

للأدب أهمية كبرى في تنمية المجتمع، فهو يمس خصائص حياتنا اليومية، كالتعليم وكالملبس والمسكن والاثاث. فأي نشاط إنتاجي أو صناعي لا يخلو من الذوق الفني، والإبداع المحبب، وأية صورة طبيعية تبدو حولنا خالية من السحر والجمال، فهي صور جافة وميتة، فلا يمكن أن نتصور الأرض دون أشجار خضراء، أو أن السماء رمادية اللون. أو أن نعيش بدون علم أو ثقافة. وليس في أصول الإسلام ما يدل على أنه يضيق بعلم أو يقف في سبيل تعليم؛ بل إن في حوادث التاريخ دليلًا على أن المسلمين وسعت صدورهم وبلادهم مختلف العلوم وطبقات العلماء الذين ما وجدوا في غير الإسلام متسعًا لعلومهم ونظرياتهم. وإن ما نقل إلى العربية من علوم الفرس على يد ابن المقفع وأضرابه، وما عرب من علوم اليونان في عهد المنصور والرشيد والمأمون، وما كانت عليه حال العلم والتعليم في معاهد بغداد وقرطبة وسمرقند، دليل على تقدير الإسلام لحرية العلم وتأييده للتعليم.

**فما دور الأدب في تعميق ثقافة المجتمع؟**

الأدب هو الكاشف الحافظ للقيّم الثّابتة في الإنسان والأمّة، الحامل النّاقل لمفاتيح الوعي في شخصيّة الأمّة والإنسان، تلك الشّخصيّة الّتي تتّصل فيها حلقات الماضي والحاضر و المستقبل.

ودور الأدب في تعميق الثقافة يعمل كالمعلّم والمدرب يأخذك بأن تجيد استخدام عقلك في التفكير والخروج برؤيتك الخاصة، يأخذك لتفهم النفس البشرية ودوافعها، فسواء تعمّقت في النصّ الأدبي نفسه بحكايته وحواره وشخوصه، في مأساة وملهاة أبطاله ورؤاهم ودوافعهم، أو تعمقت في مقصد الأديب من النص، في رؤيته في منهجه ورسالته التي يريد أن يوصلها لعقلك. وتجد مع كل عمل أدبي ثقافة ومعرفة تنهل من أفكاره، بالتاريخ والجغرافيا والفلسفة والعلوم، ومع كل عمل ترحل لتنهل من نبع الأفكار لتعود وأنت أكثر معرفة ثقافة(42).

إن دور الأدب في تعميق ثقافة المجتمع كان منذ الأزل ولن ينتهي حتى تجفّ كافّة الأحبار على وجه البسيطة، وتجف قريحة البشر عن إبداع المزيد من الأدب. ولأن الذوق الجمالي مغروس في الإنسان منذ وجد، فهو لا يقدر أن يعيش بدون أدب وفن،

ولا يرضى بشيء آخر بديلا عنهما منذ طفولته الأولى، ومنذ أن وجد على سطح الأرض، أخذ الأدب يناجيه، ويصغى هو بدوره إليه.

وقد يكتب الأديب عن الواقع، ولكن مهمته الأساسية هو أن يكشف ما يقبع خلف الواقع من مشاعر، مشاعر قد تكون نبيلة وقد تكون وضيعة، قد تكون مثالية وقد تكون مادية ولكنها المحرك لكل التصرفات الانسانية، قد تنحرف بسبب الطمع والحقد، وقد تتخذ المسار الصحيح بسبب الحب والنزاهه، جميع الأعمال الأدبية تحمل ذلك الوجه الواقعي للعمل الفني، ثم تحمل ذلك الوجه الخفي لما يدور في الذات البشرية، وما يدور في الذات البشرية يبدو أكثر تعقيداً مما يدور في الواقع الحسي، لأنه بداخل هذه النفس تكمن جميع المشاعر، جميع الرغبات، جميع التطلعات وايضاً آخر محطات اليأس والانسحاب غير المعلن.(43)

**التنمية الاجتماعية في المجتمع الإسلامي** :

إن المجتمع - كما يقول مالك بن نبي - الذي يعمل فيه كل فرد ما يحلو له، ليس مجتمعاً؛ ولكنه إما مجتمع في بداية تكونه، وإما مجتمع بدأ حركة الانسحاب من التاريخ، فهو بقية مجتمع. حيث إن حياتنا تخضع لنظم عقائدية وتربوية وتعليمية واقتصادية متعددة، بذلك من المتوقع حدوث نوع من الخلل والتصادم في علاقة هذه الأنساق بعضها ببعض، مما يؤدي إلى تشويه الشخصية الاجتماعية وفقدها للتوازن، ومن واجب المجتمع إدارة تلك التوترات، والتخفيف منها، ولا يستطيع مجتمع أن يفعل شيئاً ذا قيمة، ما لم يعتمد في تعامله أسلوب المفاتحة والنقد والمراجعة، وقبل ذلك الشفافية والرحمة وتطبيق العدالة المطلقة( 44).

يمكن للأدب أن يكون صورة عن الواقع الاجتماعي بأبعاده النفسية والفكرية والشعورية والمادية، بل قد يكون الأدب الضوء الذي يتم تسليطه على معاناة معينة ويتم لفت نظر المجتمع لهذه المعاناة وبالتالي إيجاد حلول جذرية لها، أي أن الأدب يمكن أن يكون مرآة لكل ما يدور في المجتمع وبقدر جديته وتركيزه على القضايا الانسانية يكون نجاحه بأن يتحول لجزء من الواقع الاجتماعي وليس مجرد انعكاس له، فكم من الروايات غيرت مجرى حياة الكثير من الناس؛ بل غيرت مفاهيم متجذرة في المجتمع. ولكن الأدب أيضاً له وجه آخر وهو الوجه الخيالي، ينقل القارئ العادي إلى عوالم من الخيال، وإذا عدنا للحضارات السابقة نجد الأدب يقطن عميقًا في أساسها، فلا توجد حضارة واحدة مصرية قديمة، أو يونانية، أم آشورية صينية ..الخ لم تبنَ على القصص والأساطير وهي الأساس الأصيل للأعمال الأدبية في شكلها الحالي، فهذه الأساطير عند

تحليلها بعناية نجد أنها تؤسس للقيم ولبناء المجتمعات، بل كان بعضها هو محاولات للبحث عن بناء الأفكار العلمية فأخضعها للتجربة والتحقّق، لذا فمن الأدب نشأت المعرفة البشريّة التي بنيت عليها ثقافة البشر مستقبلًا، ومن هنا كان دور الأدب في تنمية المجتمع.

ويلعب الأدب دورًا هامًا في بناء المجتمعات، حيث أنّ الأدب هو أقوى الفنون في المجتمعات؛ فهو يعتمد على طاقة هائلة من الكلمة الهادفة وكذلك الهدامة ويكون الأديب قائد المستقبل بقوة آرائه ونضجه الفكري المقرون بالطاقة والإيحاءات(45)

فوظيفة الأدب محصّلة لوعي الأديب وإيمانِه بدور الكلمة؛ لأن دوره دور تهذيبي تكوينيّ تحريضيّ، فالأدباء رسُل المجتمع، وهداة البشر بما يملكون من قدرات ومواهب. والأدب ليس حزباً سياسياً أو قيادة عسكرية أو حلفاً؛ بل مؤشّراً لزرع قيم نتوخّاها، ونسعى لتحقيقها، فرسالة الكاتب الكشفُ للناس عن الحقيقة. ومن أبرز وأهم الأنشطة التي تدعمها الهيئات والجماعات والأفراد لتنمية مجتمعاتها، زيادة نسبة التعليم والتربية، منطلقين من حقيقة مفادها أن الأدب هو أساس تطور المجتمعات وهو اللبنة التي تبنى عليها الدول وتنهض فوقها الأوطان، فلا نهضة من غير أدب ( أيا كان نوعه) ولا نجاح من غير نقد علمي بناء. والتقدم الذي لا يكون جزء منه تقدم أدبي فهو تقدم ناقص، فالأرض اليوم ليست كالأرض بالأمس، وعلى الإنسان أن يواكب هذا التطور المتسارع في أي مكان على الأرض، بالإضافة إلى تنمية المجتمعات تكون بتطوير العمليات الاقتصادية ودعمها، مثل: الاهتمام بدعم المشاريع الفكرية والتجارية والصناعية فإن ذلك مدعاة للازدهار المجتمع وتطوره.

إن الأدب يربي الانسان على القيم النبيلة والمبادئ السامية فيرتقي به إلى أعلى مراتب الانسانية ويسمو به عن كل دنس.

**مقولات:**

( عمر بن الخطاب)احفظوا الشعر وارووه, ففيه محاسن الأخلاق.

( حامد الغزالي) من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج "

(عباس محمود العقاد)إن حب الأمم للحرية يقاس بحبها للفنون الجميلة.

( بونابرت)الأدب بغير فنّ رسول بغير جواد في رحلة الخلود.

(بدري قويو) الأدب يحل له ما لا يحل لغيره.

( الفيلسوف الألماني نيتشه): فمن لم يكن يحيا لكشف الحقيقة كاملة فليستمعْ ما طاب له من نعيم الدنيا لن يكون ذلك كاتبا وإنما هو أفّاك مزِّور لا قدْرَ له ولا مقام له ".

(عدنان الصائغ): من أجلِّ أن لا تكسرَ الشظايا زجاجَ الوطن غلّفوهُ بالشهداء.

( محمود درويش): ليس وطني دائمًا على حق، ولكني لا أستطيع أن أمارس حقًا حقيقيًّا إلا في وطني.

(خير الدين الزركلي): العينُ بعدَ فراقِها الوطنا لا ساكِنا ألِفَتْ ولا سَكَنا

ليت الذينَ أحِبُّهُمْ علموُا وهم هنالِكَ ما لقيتُ هُنا

(القروي): وطنٌ ولكنْ للغريبِ وأمةٌ ملهى الطغاةِ وملعبُ الأضدادِ

يا أمةً أعيتْ لطولِ جهادِها أسكونُ موتٍ أم سكونُ رُقادِ؟

يا موطناً عاثَ الذئابُ بأرضهِ عهدي بأنكَ مربضُ الآسادِ

( أحمد شوقي): وطني لو شُغِلْتُ بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي.

( عبد الرحمن منيف): الوطن وهم كبير عندما نقابلُه بالحب والعطاء، ويقابلنا بالقمع والتشرد، عندما نراه جنة موعودة يصرون على أن يحولوه إلى زنزانة كبيرة.

( جلال عامر): ثلاثون عامًا ظهر فيها الدش والمحمول والإنترنت واختفى الوطن.

**الخاتمة :**

يبقى الأدب المحرّك الرّوحانيّ الأوّل في حياتنا, فهو يوفّر لنا الرّاحة النّفسيّة وينسينا همومنا ويسلّينا، فنقبل على العمل بأكثر حيويّة، فنرقى بأنفسنا وبمجتمعنا. فلا رقيّ دون أدب ولا حياة دون فنّ.

جاءت مرحلة الاستيقاظ نحن أمة هبت من رقدتها التي طالت سنين مديدة لتعلن للطغاة والمستبدين؛ بل لأحرار العالم أجمع أنها لم تمت، خرجت للتثور لكرامتها المغتصبة، وحريتها الضائعة، وثرواتها المنهوبة، بل إنها أفاقت لتصنع فجراً جديداً، ومجداً فريداً يجعلها أهلاً لأن تقود العالم كما كانت تقوده في سالف العصور.

تبقي الكلمات الأدبية ليست مجرد كلمات خالية من الروح غير دافعة إلى العمل، أو منزوية عن الحياة؛ ولكنها إيحاءات تغمر القلب والوجدان ثم تتغلغل في أعماق نفوسنا، حتى تصبح قادرةً على أن تحرك عواطفنا، وتوجه سلوكنا. ويرضى عنها الله ورسوله لخدمة الوطن والمجتمع.

وأخيرا.. لا ندعي شمولية البحث ولكن اجتهدنا فيه ما وسعنا الجهد حتى أستقام وفق المخطط فيارب يكون لبنة متواضعة في صرح الدراسات الحديثة.

**النتائج**:

1- أن التعليم هو أساس تطور المجتمعات وهو اللبنة التي تبنى عليها الدول وتنهض فوقها الأوطان، فلا نهضة من غير تعليم ولا نجاح من غير نقد علمي.

2- على الأدباء ترسّيخ العلاقة بين الأجيال وزرع الاحترام المتبادل، وتوطيد إيمانَ الشباب بعروبتهم ومثلِهم، وتمكيّنهم من الوقوف بثقة وثبات، وهذا لا يأتي بالخطابات والكلمات الجوفاء، بل بالإيحاء وتنمية الحسّ بالمسؤولية. فهم بحاجة لمن يأخذ بأيديهم قبل أن تستهلكهم الأفكارُ الدخيلة والأغاني السخيفة والأزياء المتدفقة من المفاهيم.

3- لا أدب من دون هدف ورسالة يصبو إليها الأديب، فالأديب الحرُّ مسؤول أمام ضميره عمّا يكتب ويقدِّم من إبداع، فيحافظ على هوية الوطن ويبرز تاريخه، من خلال استدعاء البطولات الماضية وتمثيلها في الحاضر.

4- الأدب ألصق الفنون بالحياة الإنسانية وأقدرُها على الإبداع والإمتاع، وأحبّها إلى الأذواق وأشهرُها شيوعا بين الناس. والآداب الجميلة: هي كل الإبداعات الفنية التي ترقى إلى الكمال والجمال وتسمو بالخيال إلى الخلق والإبداع كالشعر والرسم و الموسيقى والنحت.

5- الأدب رسالة يتوجّه بها الفنان إلى المجتمع من خلال عرضه لقضايا اجتماعية، مثل: التفكّك الأسريّ والصّراع بين الأجيال والانحراف.

6- الأدب يرفع النّقاب عن قضايا المجتمع فلا يبتعد عن الواقع ولا يزيّف الحقائق؛ بل يدرك أخطاءه ومواقع الخلل فيه محاولا البحث عن الدّواء النّاجع لإصلاح ما تهرّأ من قيم مبتذلة بأخرى نبيلة مقدّسة. وهو عالم الجمال الرّحب, وعالم الفضيلة, وهو مجال الحريّة الفرديّة فمن خلاله يشعر الأديب باستقلاله فكرا وقولا وعملا فيكون الخلق والإبداع.

7- المشاركة بقضايا الرأي العام والمناصرة لقضايا حقوق المرأة والطفل، ومناصرة الفئات المهمشة في الحصول على حقوقها.

8- تعزيز الجانب الثقافي بعمل المبادرات للتعريف بالثقافات المتنوعة، وتبادلها.

تهتم تنمية المجتمعات بتطوير العمليات الاقتصادية ودعمها مثل الاهتمام بدعم المشاريع سواء الزراعية والتجارية والصناعية فإن ذلك مدعاة للإنسان وللمجتمع حتى يتطور ويزدهر.

9- إنّ للأدب دور أساسيّ في تطوّر المجتمع، فالمجتمع المتأدب أكثر تطوّراً، وأكثر مواكبةً وانفتاحاً على التطوّر المحيط به، فمع تطوّر المجتمع وتقدّمه تساهم في نقل خبرات الأجيال بين بعضهم البعض ويساهم في رفعة المجتمع.

10 - يلعب الأدب دورا أساسيّا في تكوين أواصل الصلة الاجتماعيّة بين أبناء المجتمع الواحد، فهو مليء بالقيم الاجتماعيّة المهمّة، كالصدق، والأمانة، والوفاء وغيرها.

11 -إن أي محاولة في فك ألغاز بنية المجتمع وفضح تناقضاته سواء في مجال الكتابة والنشر أو في مجال المحاضرة والتدريس سوف لن تجد لها أي فرصة لتحقيق أي نتائج تعالج مشكلات المجتمع وتساهم في حل معضلاته الجسيمة ألا بالأدب؛ لأنه رسالة هادفة، والأديب قبل كل شيء يعمل من خلاله على تعرية الواقع الموجود لكشف عيوبه.

12 وظيفة الأدب محصّلة لوعي الأديب وإيمانِه بدور الكلمة. فالأدباء رسُل المجتمع، وهداة البشر بما يملكون من قدرات ومواهب، فالأدب ليس حزبا سياسيا أو قيادة عسكرية أو حلفا. بل مؤشّرا لزرع قيم نتوخّاها، ونسعى لتحقيقها. فدوره دور تهذيبي تكوينيّ تحريضيّ، ورسالة الكاتب الكشفُ للناس عن الحقيقة.

**التوصيات:**

- إننا لم نعدم الثروات؛ فخيرات بلادنا وفيرة لكنها تتطلب منا بعض الصبر والكفاح والعمل والاجتهاد كي تدور عجلة التنمية ويعم الرخاء، ونصبح شركاء في هذه البلاد، ولكي نصل إلى هاته المرحلة علينا أن نبني أولاً: الجانب الروحي - بكل ما تحمل الكلمة من معنى- فيتقن العمل، ويتعامل مع الآخرين من منطلق إيماني يحرص على الألفة والأخوة والتسامح والعدل والمساواة .

- إن المجتمع الليبي بطوله وعرضه لم يدرس حتى يومنا هذا دراسة حقيقية، او أن تفكك تناقضاته بشجاعة متناهية وأن تعالج جملة هائلة من عوامل الخلل فيه خصوصا وأن تناقضاته هي التي افرزت حياته السياسية في القرن العشرين واصبح كل من المجتمع والدولة رهينة بيد موروث صعب جدا لا يمكن تخيله ابدا، وبسبب ما صدر من قرارات قد اخل بالمعادلة الاجتماعية وفجّر جملة هائلة من التناقضات.

- إن بنية اجتماعية معقدة جدا على أشد ما يكون التعقيد كالمجتمع الليبي، وذلك بسبب التنوع والتعدد والاقليات، وبسبب إرث ثقيل له عمقه التاريخي و الجغرافي منذ القدم وجب دراسته.

أوصي طلبة الدراسات العليا تقديم رسائل واطروحات للدراسات العليا عن المجتمع الليبي، فهي اقوى مادة تقدم تحليلات عن أي فترة زمنية مقارنة بمثيلاتها مما انجز في جامعات العالم.

- الملاحظ أن علماء الاجتماع وجملة كبيرة من رجال الفكر الأدبي( كتاب وشعراء) لم يستطيعوا السيطرة والإلمام على المخزون الاجتماعي الثري وذلك من اجل تحليله وتقديم معلومات عن الاقليات والاديان والامثال الشعبية والطوائف والاصناف والعشائر الموجودة في المجتمعات الليبية من خلال دراسة أدب كل فئة فيه، وقد تبين ذلك من خلال البحث.

- لم يعتنِ الدارسون والشعراء الليبيون بالمجتمع بقدر ما اعتنوا بسياسات الدولة أولا، وبتحليل العلاقات الاجتماعية ومنتجاتها ثانيا، إلا أنه عني ببعض الطبقات الاجتماعية ومنتجاتها السياسية من دون تقديم فهم للآليات التي كانت تعمل في سياقات متنوعة ليس في السياسة فحسب، بل حتى في أصغر الوحدات الاجتماعية المعقدة.

- بقدر ما نجحت الدولة الليبية في القرن العشرين ببناء مؤسسات قوية لها، إلا أنها أخفقت في بناء مجتمع متماسك، وبقدر ما نجحت الدولة في تعظيم نفسها، فشلت في خدمة المجتمع وجعلته مجتمعا متهالكا هشا، فكم كان رائعا لو بقيت الدولة في خدمة المجتمع لا أن يحدث العكس.

- إن التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والتي ينتظرها الليبيون- بفارغ الصبر- تستدعي منهم جهوداً للتفكير والعمل المنظم في الزمان والمكان، والله سبحانه وتعالى يقول: **( إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)** فالتغيرات المنتظرة لابد من أن تقوم بوسائل سلمية كالإقناع والتربية السياسية والمدنية والدينية.

## الهوامش:

1. د. بكار (عبد الكريم) : مدخل إلى التنمية المتكاملة، رؤية إسلامية ط/ 1 دار القلم دمشق 1999م، ص264 - 265.
2. ابن الجوزي،(عبد الرحمن)، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ت: فواز صالح فواز، رياض الحرمين للكتب والنشر، **ص 38**
3. الماوردي(علي بن محمد): أدب الدنيا والدين، القاهرة، 1972، ص 202.
4. انظر: إغاثة اللهفان (30/1) ، والفتاوى (96/19) ، ومفتاح دار السعادة (2/2) ، وشرح الطحاوية ص13.
5. سورة فاطر، آية 10.
6. ابن قيم الجوزية [محمد بن أبي بكر)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط/1 ، دار الكتب العلمية – بيروت، 1411هـ - 1991م، (1/ 132 - 133).
7. مسلم ابن الوليد، "www.marefa.org"، اطُّلع عليه بتاريخ 20-12-2018، بتصرف
8. د. بكار( عبد الكريم): مدخل إلى التنمية المتكاملة، ص245 - 246.
9. عن نزار قباني وأبي خليل القباني - مجلة شؤون عربية - فصلية فكرية تصدرها وحدة المجلات في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية - العدد: 155-156
10. سورة: التوبة، آية 51.
11. سورة : الأعراف، آية 34.
12. بتصرف: عبد الرحمن حبنكة: العقيدة الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، ص 31 - 32 .
13. الجليس الصالح
14. محمد خليل
15. درويش (محمود) (2008)، *أثر الفراشة*، بيروت: رياض الريس، صفحة 21،22. بتصرّف.
16. أخرجه البخاري في صحيحه ح (50) ، (4777) ومسلم ح (8) وأبو داود (4695) ، والترمذي (2610)، والنسائي (4990) ، وابن ماجه (63) .
17. سورة القيامة، آية : 14.
18. سورة البلد، 8-10.
19. سورة يوسف آية: 53.
20. سورة النازعات آية: 40.
21. بتصرف: عبد الرحمن حبنكة، مرجع سابق، ص 31 - 32 .
22. https://mawdoo3.com/أشعار_معبرة_عن_الحياة.
23. د. الخشت (محمد عثمان): المجتمع المدني، ط/1 سلسلة الشباب، سلسلة نصف شهرية تصدر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، العدد (8) ص27 - 30.
24. (بدوي) محمد مصطفى ، قضية الحداثة ومسائل أخرى في النقد الأدبي، دار شرقيات، القاهرة، 1999، ص24.
25. بتصرف: (فضل) صلاح ، أساليب السرد في الرواية العربية، دار سعاد الصباح، الكويت/القاهرة، 1992، ص165.وما بعدها
26. بتصرف: مقداد محمد علي: علم الأخلاق الإسلامية، الطبعة الثانية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض، 1424هـ - 2003م ، ص 8.
27. سورة الشمس آية : 7 ، 8 .
28. د. تمام( كمال) (2011-3-30)، "أبو العتاهية ومذهبه الشعري"، *www.alukah.net*، اطّلع عليه بتاريخ 2019-2-8.
29. د. جاسم( أسماء صابر)، و إسماعيل (السيد علي) ، مقال: البناء التركيبي في شعر ابن جبير الأندلسي، ص 99، المجلد 4، العدد 12، السنة الرابعة – تشرين الثاني 2008م.بتصرف
30. سورة التوبة آية 51

31. سورة : الأعراف آية 34.
32. د. الفنجري( محمد شوقي): الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، وزارة الأوقاف ، ص 74 -
33. أحمد شوقي، "تاج البلاد تحية وسلام"، *www.aldiwan.net*، اطّلع عليه بتاريخ 2019-5-25. ،
34. رشاد (محمد) ،https://shaaban58.wordpress.com/2019/04/26/
35. الحر (عبد المجيد) ،*أحمد شوقي*، بيروت: دار الكتب العلمية، صفحة 75-78. بتصرّف.
36. انظر: ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب، ط/ 3 ، دار صادر، بيروت 1414هـ (15/ 342).
37. جانت (جورج. ف).: إدارة التنمية ، ترجمة : منير موسى ، دار المعارف القاهرة ، ص16. نقلا عن د. عبد الكريم بكار : مدخل إلى التنمية المتكاملة ـ رؤية إسلامية ، ط/1 دار القلم ، دمشق 1999م ص9 وما بعدها، بتصرف.
38. د. رمزي (نبيل): علم اجتماع المعرفة، ط/1، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ص 95.
39. سليم (محمد إبراهيم) (1988)، *الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس*، مصر الجديده القاهره: مكتبة إبن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، صفحة 20-21.بتصرف
40. العيسوي (إبراهيم): التنمية في عالم متغير، دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها، ط/ 3 دار الشروق 2003م، ص18 - 19.بتصرف
41. https://analbahr.com/أجمل-أبيات-شعر-عن-العلم-والتعلم...
42. https://www.diwanalarab.com/العلاقة-بين-الأدب-والواقع...
43. أنظر: دومة (خيري) ، تداخل الأنواع في القصة المصرية القصيرة 1960-1990، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.ص 58، بتصرف.
44. د.عبد المنعم محمود عبد الرحمن: معالم العقيدة الإسلامية، ط/1، القاهرة 1994م، ص 6 ، 7 .
45. بوجاه (صلاح الدين) ، مقالة في الروائية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1994، وخاصة مقالته "الرواية العربية بين لغة النص ولغة القص"، ص59-73.بتصرف